Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غالبا على الكلمة المسموعة لأنها أسرع نفوذا إلى الجمهور؛ ولهذا أيضا كان الشعراء يعولون على الرواة لإذاعة أشعارهم فى مجالس الشعر وأسواق الأدب. وربما اتصلت المسألة بسبب آخر، يجعل السمع أنسب قنوات التواصل والتلقى مع الشعر؛ لأن السامع يستقبل ما يرضيه وما يغضبه، ولا اختيار له فى ذلك. فإذا اجتمع الحسن والقبيح، والجيد والردىء تهيأت له أسباب التمييز والمفاصلة، وعوامل التذوق والإدراك وتلك أقرب إلى طبيعة الشعر.

ولعل ابن خلدون يؤكد الصلة بين الصوت الحسن المسموع والفطرة، إذ يقول «ولما كان أنسب الأشياء إلى الإنسان وأقربها إلى أن يدرك الكمال هو شكله الإنسانى.. فى تخاطيطه وأصواته.. التى هى أقرب إلى فطرته، فليلهج كل إنسان بالحسن من المرئى أو المسموع بمقتضى الفطرة، والحسن فى المسموع أن تكون الأصوات متناسبة لامتافرة»(١).

وارتباط الشعر العربى بفتى الإنشاد والغناء فى أزهى مراحله هيأ له الذيوع والتفوق على كل أجناس الأدب. وجعل إقبال الجمهور عليه يتزايد إلى غير حد. وهذا أمر طبيعى، فالمتعة الفنية التى يحققها الشعر المسموع للمتلقى لا سبيل إليها فى قراءة ديوان أو حفظه، وربما أحس السامع للإنشاد لطيفة لم يفطن إليها قارئ أو حافظ، وربما تنبه حسه لنشاز فى القيم الإيقاعية والصوتية، كان غائبا عنه بتأثير الألفة للشعر المحفوظ. وليس أدل على صدق المقال من حكاية النابغة مع أهل الحجاز. فإنهم لما سمعوا داليته المشهورة فطنوا إلى ما وقع فيها من «إكفاء» وهو عيب فى حركة الروى، يظهر فى اختلاف الإيقاع بين الكسر والصم، حيث يقول:

أمن آل ميةَ رائح أو مُغْتدى ... عجلانَ ذَا زاد وغيرَ مُزَوَّد
زَعَمَ البوارحُ أن رحلتنا غَدًا ... وبذاكَ خبَّرنا الغُرابُ الأسودُ
سقط النصيف ولم ترد إسقاطه ... فتناولته واتقتنا باليد
بمخضب رخص كأن بنانه ... عنم يكاد من اللطافة يعقدُ

فلما قدم المدينة على الأوس والخزرج، قالوا له : إنك تكفئ الشعر. قال: وكيف ذلك؟ فجعلوا يخبرونه ولا يفهم ما يريدون. فقالوا له : تغن بشعرك، فتغنى به ومدد، ففهم، فقال : لست أعود(٢).

(١) المقدمة ص ٤٢٥.

(٢) الموشح للمرزبانى ص ٤٦.